النقد الأدبي في مجالس عبد الملك بن مروان

أ. إبراهيم فرج الزائدي*

مدخل

إن تراثنا الأدبي غني بالكثير من النظرات النقدية، والتي تمثل الأصالة والعمق والاتساع في مضمونها

إلا أن الناظر في بحوث الدارسين والنقاد القدامى والمحدثين يجد -جلهم- في دراساتهم الأدبية والنقدية إما مغالين في عرض أفكار بعض من أعطوهم صفة الناقد، وإما مكتفين بالإشارة سالكين في ذلك مسلك من سلفهم. وكلا الاتجاهين جانبه الصواب.

ورغم أن كثيراً من تلك الآراء لم يصدر فيها أصحابها عن الفحص العميق والدراسة المتأنية المستوعبة، إلا أنها آراء جديرة بالدراسة والبحث والتحليل، لما تحويه من قيمة أدبية ونقدية بالغة الأهمية، ولأنها كانت تمثل خير مظهر من مظاهر احتفاظ العرب بأخص خصائص عروبتهم -الشعر- وتحسسهم جوانب الجمال فيه، وقدرتهم على تذوقه ونقده، ومعرفتهم طرق جودته، أو أسباب ضعفه، تستوي في ذلك طبقات الشعب رؤساء ومرؤوسين.

تعددت بيئات الأدب في العصر الأموي، واتسع النشاط النقدي فيها، وقد ارتبط ذلك النشاط بسيطرة الأغراض الشعرية التي كانت تسود بيئات الأدب آنذاك، فتحكمت

---

* جامعة المرقب.

تلك الأغراض بشكل أو بآخر بلغة النقد، كما تأثرت هذه اللغة بطبيعة الغرض ومعالجات النقاد.

والشام مقر الخلافة الأموية، ومركز من مراكز الأدب والشعر، يفد إلى قصور خلفائها الشعراء والأدباء، وتعقد في بلاطات أمرائها مجالس الأدب والشعر إلى جانب شؤون الحكم والسياسة، يفد إليها الشعراء من كل مكان فيقصدون قصور الخلفاء للشهرة والعطاء، مادحين راغبين، وكان الشعر ونقده مادة تلك المجالس، فأضحت المجالس ميداناً خصباً لتنافس الشعراء، ورواقاً فسيحاً لنقد الأدباء، فعاد الشعر إلى حياته الأولى بعد أن ضُيق على أهله في صدر الإسلام، فاتسعت أبوابه، وتنوعت أغراضه، وجادت معانيه، وتهذبت ألفاظه، كل ذلك بعامل المنافسة التي أذكى الخلفاء نارها، فشارك في هذا النقد الشعراء والخلفاء على حد سواء، وقد كان النقد في بيئة الشام منصباً على معاني الشعر، وتمييز جيدها من رديئها، كما التفت إلى المفاضلة بين الشعراء في المعاني والصور، مبرزين من أجاد منهم، كما اتجه النقد في هذه البيئة إلى الكشف عن الكلمة القلقة التي لا تتماشى، والمعنى المراد، ونبهوا إلى ذلك.

وقد أولى خلفاء بني أمية الشعر عناية فائقة، فقربوا الشعراء وأغدقوا عليهم الأموال الطائلة، لما عرفوا لهم ولشعرهم من أثر في توطيد دعائم الحكم، ومن ثم ساد غرض المديح مجتمع الشام، وميزها عن غيرها من بيئات العصر، كالحجاز الذي ساده غرض الغزل، والعراق الذي ساد الفخر والهجاء مجتمعه، وكان لغرض المديح التي ساد مجتمع الشام دوره الفعال في تكييف الذوق النقدي حتى أضحى مقياساً أساسياً للحكم على الشعر والشعراء، وكان أقل إخلال بهذه المثل الفنية يؤخر الشاعر مهما كانت تلك القيمة الشعرية التي تضمنتها أبياته.

وهذا البحث يتجه نحو التراث النقدي العربي القديم، يجلو بعض قضاياه، ويعرض مذاهب نقدته ممثلة في شخص الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان(1)، ذلكم الخليفة الناقد المحب للشعر والشعراء الذواقة للفن العربي شعره ونثره، الذي ملأت

1- هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب أبو الوليد ولد سنة ست وعشرين بويع بعهد من أبيه في خلافة ابن الزبير فلم تصح خلافته وبقي متغلباً على مصر والشام ثم غلب على العراق وما والاها إلى أن قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين فصحت خلافته من يومئذ واستوثق له الأمر (تاريخ الخلفاء للسيوطي 190/1).

آراؤه النقدية بطون كتب الأدب والنقد، وامتاز عن غيره بحفظ الشعر وروايته، ومعرفة جيده من رديئه، وقد عقد لذلك المجالس، واحتفل بالشعراء والأدباء، وفي المجالس كثير من الآراء الأدبية، والنظرات النقدية، ومن هنا تأتي أهمية الموضوع الذي قد يميط اللثام عما إذا كان ما يرمي إليه كثير من الدارسين في نظرتهم إلى الخليفة الناقد عبد الملك بن مروان وما يُدَّعى عليه من قوة الشكيمة النقدية صواباً أو خطأً، دون إهضام الخليفة حقه فيما ينسب إليه من أدب ونقد، بل فيه تحليل لكثير من الجوانب النقدية التي مارسها الخليفة في مجالسه الأدبية، كما يقرب البحث القارئ المعاصر من التراث النقدي القديم، فيضعه أمام حقائق ربما غفل عنها أو تناساها كثير من الدارسين، وإذا كان غرض البحث هو معرفة سمات نقد هذا الخليفة وإظهار أبرز اتجاهاته، فإن الدافع إلى ذلك إنما هو البحث عن حقيقة هذا النقد وأهدافه.

وقد قسمت البحث إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: في المجالس ودورها في الحركة الأدبية والنقدية.

القسم الثاني: في مكانة الشعراء وأهمية الشعر عند عبد الملك.

القسم الثالث: في نقد عبد الملك ومآخذه على الشعراء.

القسم الرابع: نظرة في نقد عبد الملك ومآخذه.

القسم الأول: المجالس الأدبية ودورها في الحركة الأدبية والنقدية

لم تكن فكرة المجالس الأدبية وليدة عصر بني أمية، بل امتدت إلى عصر ما قبل الإسلام، حيث صحب الشعر العرب منذ تاريخهم المبكر، فكان سجلاً لحياتهم وأيامهم، فكانت الأسواق العربية منتديات أدبية نقدية، كسوق عكاظ، وسوق مجنة، وسوق ذي المجاز، وكانت لهذه الأسواق أغراض اقتصادية واجتماعية إلى جانب أغراضها الأدبية، تنصب فيها للشعراء المحكمين قبب للجلوس والحكم بين الشعراء، وذائع مستفيض ما ترويه كتب الأدب عن حكومة النابغة الذبياني النقدية بين الأعشى والخنساء وحسان، وحكومة أم جندب بين امرئ القيس وعلقمة الفحل، ورغم أن تلك الأحكام ارتجالية فطرية غير معللة إلا أنها أومأت إلى حس نقدي تمتع به شعراء ذلك العصر.

ثم استمر إلقاء الشعر في المحافل، وتقديم الشعراء المبرزين في صدر الإسلام، والقرآن يتلى والدين في أوجه، وذلك ما نراه عند قدوم الوفود على النبي ﷺ، فالوفود العربية التي كانت تأتي إلى المدينة المنورة لإشهار إسلامها أو لأخذ البيعة لقبائلها أو

لأجل المفاخرة -وما أكثر ذلك بين القبائل العربية في جاهليتها- إنما تقدم شاعرها أو خطيبها المفوه، وعادة ما يكون هو رئيس الوفد، فينادي: يا محمد اخرج إلينا نفاخرك - والمفاخرة غالباً ما تكون شعراً، ويكون الرد على نفس الروي والقافية- فينشد شاعر الوفد أو يتكلم خطيبهم، فينادي النبي ﷺ شاعره حسان بن ثابت ويأمره بالرد عليهم، وغني عن القول موقف الإسلام من الشعر والشعراء.

وفي أول حكم بني أمية توزعت مجالسَ الأدب ثلاثةُ أقاليم هي الحجاز والشام والعراق، وكانت المدينة -إقليم الحجاز- تزدحم بمجالس الشعر والغناء، يتصدرها الشعراء والأدباء والمغنون، وحتى المرأة لم تغب عن هذه المجالس الأدبية، وذائع مستفيض ما للسيدة سكينة بنت الحسين، وعقيلة بنت عقيل بن أبي طالب من مجالس أدبية شعرية، وغيرهن كثير، وفي العراق شكلت الأسواق منتديات أدبية كبرى، كسوق الكناسة بالكوفة، وسوق المربد بالبصرة اللذين استمرا حتى العصر العباسي، وكان لهما نشاط أدبي ونقدي واسع، أما إقليم الشام فقد كانت قصور الخلفاء ودور الأمراء منتديات أدبية أيضاً يؤمها المهتمون بالأدب والعلم، ويأنس إليها أهل الشعر والنقد، فازدانت بهم قصور بني أمية، وحفلت محافلهم بالشعر والنقد، حتى ليخيل إليك أن العصر كله يموج أدباً وشعراً أينما ذهبت، وحيثما نزلت، فألقيت المدائح، ودار النقاش، واحتدم الجدل، فكانت تلك المجالس ميداناً خصباً لتنافس الشعراء، ومضماراً قوياً لتسابق النقاد والأدباء، وقد قام على إثر ذلك نشاط أدبي ونقدي كبير، ساعدت على تنميته وتقويته مواهب ذوقية عربية، وبذلك دخل النقد في طور جديد هو طور المجالس الأدبية، وظل كذلك طوال حكم بني أمية والعصور التي تلته، فكانت هاتيك المجالس ذات أثر في حياة الشعر والنقد، ومعرضاً لفنون القول وأغراض الشعر، لا يقتصر فيها على غرض شعري دون غرض آخر، بل لم يقتصر النقد على طائفة الشعراء أو الخلفاء، إنما تعداهم إلى مختلف الطوائف التي لها اهتمامات بالأدب والشعر من خاصة الشعب وعامتهم، وقد التفتوا في نقدهم إلى معاني الشعر فنظروا فيها، ومازوا جيدها من رديئها، والتفتوا إلى المفاضلة بين الشعراء في معنى من المعاني، أو صورة من الصور منوهين بالمجودين منهم، إلى غير ذلك من صور النقد التي سادت بيئة الشام، فأبرزت ملامحه، وأبانت عن اتجاهاته، وأظهرت لنا اهتمامات رجاله، فخلفت بذلك تراثاً ضخماً من الأدب والنقد، كان جديراً بالدراسة والبحث، سيما وأن هذا التراث النقدي الصادر عن الخلفاء يحسب في عداد الهوى الخاص، ذلك أن أصحابه لم يحاولوا أن يؤيدوه -في كثير من الأحيان-

بما يسموا به إلى درجة الرأي العلمي الذي يصدر فيه صاحبه عن الدرس والتحليل.

إلا أن هذا لا ينفي القول عن إجادة الخليفة عبد الملك بن مروان للنقد الأدبي، وتمتعه فيه بحس مرهف وذوق رفيع أهلاه لأن يكون جديراً بالاحترام والتقدير، ويكون نقده حقيقاً بالدراسة والبحث، فقد رسم أبعاد موقف فكري لعله كان من أرقى الأمثلة وأشدها دلالة على طبيعة نقد الخلفاء. ولا تخفى كثرة الشعراء في مجالس عبد الملك، فقد بلغ عدد الفحول المائة(2).

القسم الثاني: في مكانة الشعراء وأهمية الشعر عند عبد الملك

يقول عمر بن الخطاب ﷺ لابنه عبد الرحمن: يابني أُنسب نفسك تصل رحمك، واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك، فإن من لا يعرف نسبه لم يصل رحمه، ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقاً، ولم يقترف أدباً ويقول ﷺ: «ارووا من الشعر أعفه، ومن الحديث أحسنه، ... ومحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق وتنهى عن مساويها»(3)، وقد استقى عبد الملك بن مروان من حديث سيدنا عمر بن الخطاب توجيهه لمؤدب ولده، ورأى فيه مادة تعليمية توجيهية على المؤدبين الاستعانة بها في تربية النشء حيث يقول لمؤدب ولده: «أدبهم برواية شعر الأعشى، فإن لكلامه عذوبة - قاتله الله- ما كان أعذب بحره، وأصلب صخره»(4)، ومن ثم وجد الخليفة الناقد عبد الملك بن مروان في الشعر ونقده مادة تعليمية توجيهية تدل محاسن الأخلاق تلك التي تغنى بها الشعراء، ورددوها في أشعارهم بكل صورها، وشتى معانيها، وقد جعل الخليفة ذلك الشعر الهدف الرئيس الذي يجب أن يكون من وراء تعليم الشعر وتربية النشء.

معرفته بالشعر وتعظيمه لأهله

قال عبد الملك: يا بني أمية، أحسابكم أنسابكم لا تعرّضوها للهجاء، وإياكم وما سار به الشعر، فإنّه باقٍ ما بقي الدهر؛ واللّه ما يسرّني أني هجيت بهذا البيت وأن لي ما طلعت عليه الشمس:

2- تاريخ الأدب العربي، الزيات 121.

3- جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشي 52.

4- المصدر نفسه 90.

يبيتون في المشتى ملاءً بطونهم   وجاراتهم غرثى يبتن خمائصا

وما يبالي من مدح بهذين البيتين ألا يمدح بغيرهما:

هنالك إن يستخبلوا المال يخبلوا   وإن يسألوا يعطوا وإن ييسروا يغلوا
على مكثريهم رزق من يعتريهم   وعند المقلّين السّماحة والبذل⁽⁵⁾

وفي رواية الأغاني: قال عبد الملك بن مروان: ما يضر من مدح بما مَدح به زهيرٌ آل أبي حارثة من قوله:

على مكثريهم رزق من يعتريهم   وعند المقلين السماحة والبذل

ألا يملك أمور الناس (يعني الخلافة). ثم قال: ما ترك منهم زهيرٌ غنياً ولا فقيراً إلا وصفه ومدحه⁽⁶⁾.

وقال لجلسائه يوماً: انشدوني أكرم أبيات قالتها العرب، فقال روح بن زنباع:

اليوم نعلم ما يجيء به   ومضى بفضل قضائه أمس
منع البقاء تقلب الشمس   وطلوعها من حيث لا تمسي
تبدو لنا بيضاء صافية   وتغيب في صفراء كالورس

فقال له: أحسنت، فأنشدني أكرم بيت وصف به رجل قومه في حرب، فقال: قول كعب بن مالك حيث يقول:

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا   قُدُماً ونلحقها إذا لم تلحق

قال له: أحسنت، فأنشدني أفضل ما قيل في الجود، قال: قول حاتم الطائي:

ألم تر ما أفنيت لم يكن ضرني   وأن يدي مما بخلت به صفر
ألم تر أن المال غادٍ ورائح   ويبقى من المال الأحاديث والذكر

5- الأمالي للقالي 158/2.

6- الأغاني 3770/10.

غنينا زماناً بالتصعلك والغنى   وكلاً سقاناه بكأسيهما الدهر
فما زادنا بغياً على ذي قرابة   غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر(7)

وكان عبد الملك بن مروان ذات ليلة في سمره مع ولده وأهل بيته وخاصته، فقال لهم: ليقل كل واحد منكم أحسن ما قيل في الشعر، وليفضل من يري تفضيله، فأنشدوا وفضلوا، فقال بعضهم: امرؤ القيس، وقال بعضهم، النابغة الذبياني، وقال بعضهم: الأعشى، فلما فرغوا قال: أشعر والله من هؤلاء جميعاً عندي الذي يقول:

وذِي رَحمٍ قَلَّمْتُ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ   بحِلْمِيَ عنهُ وَهْوَ ليس له حِلْمُ
إذَا سُمْتُه وَصْلَ القَرَابِةِ سامَني   قَطِيعتَها تلك السَّفاهةُ والظُّلْمُ
فأَسْعَى لكَيْ أَبْنِي ويهْدِمُ صالحي   وليس الذي يَبْني كمَنْ شأُنه الهَدْمُ
يُحاولُ رَغْمِي لا يُحاول غيرَه   وكالموتِ عندي أن ينالَ له رغمُ
فما زِلْتُ في لِينٍ له وتَعَطُّفٍ   عليه كما تحنُو على الوَلَدِ الأمُّ
لأَسْتَلَّ منه الضِّغْنَ حتَّى سَلَلْتُه   وإنْ كان ذَا ضِغْنٍ يَضِيقُ به الحِلْمُ

فقيل له: يا أمير المؤمنين من قائل هذه الأبيات؟ قال: معن بن أوس المزني(8).

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج: أنت عندى كسالمٍ، فلم يدر ما هو، فكتب إلى قتيبة يسأله، فكتب إليه: إن الشاعر يقول:

يديروننى عن سالم وأديرهم   وجلدة بين الأنف والعين سالم

ثم كتب إليه مرة أخرى: أنت عندى قدح ابن مقبل، فلم يدر ما هو، فكتب إلى قتيبة يسأله -وكان قتيبة قد روى الشعر- فكتب إليه: إن ابن مقبل نعت قدحاً له فقال:

غدا وهو مجدول وراح كأنه   من المش والتقليب بالكف أفطح
خروج من الغمى إذا صك صكة   بدا والعيون المستكفة تلمح(9)

7- الأمالي للقالي 3/29-30

8- المصدر نفسه 2/101-103. والأغاني 12/4226، وخزانة الأدب للبغدادي 7 /262.

9- أمالي القالي 1/15. قال أبو على: المش: المسح، والمشوش: المنديل، قال امرؤ القيس:

=

ودخل كُثير على عبد الملك بن مروان –رحمه الله–، فقال عبد الملك بن مروان: أأنت كثير عزة؟ قال: نعم؛ قال: إن تسمع بالمعيدى خير من أن تراه؛ فقال: يا أمير المؤمنين، كل عند محله رحب الفناء، شامخ البناء، عالى السناء؛ ثم أنشأ يقول:

ترى الرجل النحيف فتردريه   وفي أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير إذا تراه   فيخلف ظنك الرجل الطرير
بغاث الطير أطولها رقابا   ولم تطل البزاة ولا الصقور
خشاش الطير أكثرها فراخا   وأم الصقر مقلات نزور
ضعاف الأسد أكثرها زئيرا   وأصرمها اللواتى لا تزير
وقد عظم البعير بغير لب   فلم يستغن بالعظم البعير
ينوخ ثم يضرب الهراوى   فلا عرف لديه ولا نكير
يقوده الصبى بكل أرض   وينخره على الترب الصغير
فما عظم الرجال لهم بزينٍ   ولكن زينهم كرم وخير

فقال عبد الملك: لله دره، ما أفصح لسانه، وأضبط جنانه، وأطول عنانه! والله إنى لأظنه كما وصف نفسه(10).

واجتمع في مجلسه مرة الثالوث الشعري جرير والفرزدق والأخطل، فأحضر كيساً فيه خمسمائة دينار وقال لهم: ليقل كل منكم بيتاً في مدح نفسه فأيكم غلب فله الكيس، فبدر الفرزدق فقال:

أنا القطران والشعراء جربى   وفي القطران للجربى شفاء

فقال الأخطل:

=
نمش بأعراف الجياد أكفنا   إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

والغمى: الشدة التى تغم، أى تغطى. والمستكفة من قولهم: استكففت الشيء إذا وضعت يدك على حاجبك تنظر هل تراه كالذى يستظل من الشمس.

10- الأمالي لقالي 47/1. وفي شرح ديوان الحماسة أن الأبيات للعباس بن مرداس.

فإن تك زق زاملة فإني   أنا الطاعون ليس له دواء

فقال جرير:

أنا الموت الذي آتي عليكم   فليس لهارب مني نجاء

فقال عبد الملك: خذ الكيس؛ فلعمري إن الموت يأتي على كل شيء(11).

ولهذه القصة سياق آخر: فقد اجتمع في مجلس عبد الملك جرير والفرزدق، فقال الفرزدق: النوار بنت مجاشع طالق ثلاثاً إن لم أقل بيتاً لا يستطيع ابن المراغة أن ينقضه أبداً، ولا يجد في الزيادة عليه مذهباً، فقال عبد الملك: ما هو؟ قال:

فإني أنا الموت الذي هو واقع   بنفسك فانظر كيف أنت مزاوله
وما أحد يابن الأتان بوائل   من الموت إن الموت لا شك نائله

فأطرق جرير قليلاً ثم قال: أم حرزة طالق منه ثلاثاً إن لم أكن نقضته وزدت عليه، فقال عبد الملك: هات فلقد طلق أحدكما لا محالة ن فأنشد

أنا البدر يغشي نور عينيك فالتمس   بكفيك يابن القين هل أنت نائله
أنا الدهر: يفنى الموتُ والدهر خالدٌ   فجئني بمثل الدهر شيئاً يطاوله

فقال عبد الملك: فضلك والله يا أبافراس وطلق عليك.

وأوردها ابن رشيق القيرواني في العمدة قال: صنع الفرزدق شعراً يقول فيه:

فإني أنا الموت الذي هو ذاهب   بنفسك فانظر كيف أنت محاوله

وحلف بالطلاق أن جريراً لا يغلبه فيه، فكان جرير يتمرغ في الرمضاء حتى قال:

أنا الدهر: يفنى الموتُ والدهر خالد   فجئني بمثل الدهر شيئاً يطاوله(12)

وهذه الحكاية التي يرويها ابن رشيق تخالف في وضعها ما يرويه جل الباحثين

11- دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث الهجري، بدوي طبانة 105-106.

12- العمدة لابن رشيق القيرواني 209/1.

من اجتماع جرير والفرزدق في مجلس عبد الملك بن مروان، وقد يكون تحقيق القضية أن ابن رشيق إنما روى هذه القصة في باب «عمل الشعر وشحذ القريحة»(13) وذكر أن جريراً يتمرغ في الرمل كي يشحذ قريحته، وينبه خاطره، وينقض بيت الفرزدق.

ورواها أبو الفرج قال: «أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن حبيب قال حدثنا أحمد بن حاتم المعروف بأبي نصر عن الأصمعي قال: كان عبيد الله بن عطية راوية الفرزدق وجرير، قال دعاني الفرزدق يوما فقال: إني قلت بيت شعر، والنوار طالق إن نقضه ابن المراغة، قلت: ما هو قال قلت:

فـإِني أنـا المـوتُ الـذي هـو نـازلٌ   بنفسـك فـانظر كيـف أنـت تُحاولـه

ارحل إليه بالبيت، قال: فرحلت إلى اليمامة، قال: ولقيت جريرا بفناء بيته يعبث بالرمل فقلت: إن الفرزدق قال بيتا، وحلف بطلاق النوار أنك لا تنقضه قال هيه أظن والله ذلك، ما هو ويلك فأنشدته إياه فجعل يتمرغ في الرمل، ويحثوه على رأسه وصدره حتى كادت الشمس تغيب، ثم قال: أنا أبو حزرة طُلِّقتْ امرأةُ الفاسق، وقال:

أنا الدهرُ يفنى الموتُ والدهر خالدٌ   فجئني بمثل الدهرِ شيئاً يطاوله

ارحل إلى الفاسق، قال: فقدمت على الفرزدق فأنشدته إياه وأخبرته بمقالة جرير، فقال: أقسمت عليك لما سترت هذا الحديث»(14).

القسم الثالث: نقد عبد الملك و مآخذه على الشعراء

أخذ عبد الملك بن مروان على الشعراء سقم الذوق، ومجافاة كلامهم لمقتضى الحال، والغفلة عند ابتداء القصائد، وعدم البراعة في الاستهلال، وعنده أن الشاعر ينبغي أن يتأنق في ابتداء كلامه، ليقع موقعه من السامع، لذلك فقد عاب ذي الرمة على ابتدائه قصيدته البائية:

مـا بـالُ عينِـكَ منهـا المـاءُ ينسـكِبُ   كأنـهُ مـن كُلَـى مَفْرِيّـةٍ سَـرِبُ

وكانت عيْنا عبد الملك تسيلان ماءً، فغضِبَ عليه وأمرَ به، فأُخْرِجَ مهاناً، وقد

13- العمدة لابن رشيق 204/1.

14- الأغاني 8626/25-8627.

عرَفَ موضعَ خطئه. فلمّا كان من الغد دخل في زُمرةِ الناس وأنشد:

مـا بـالُ عـينيَ منهـا المـاءُ ينسـكبُ

حتى أتى على آخرِها فأجازَهُ(15).

وعاب الأخطل لما افتتح مدحته له فقال(16):

خف القطين فراحـوا منـك أو بكـروا ....

حتى إنه تطير من هذه الافتتاحية وقال: لا بـل منـك، ونحـاه. وحـدث مـع جريـر مثل ذلك حين دخل على عبد الملك فمدحه بقوله:

أتصحوا أم فـؤادك غـير صـاح ....(17)

فأما الألفاظُ التي تشتبِهُ فمثالُها ما جرى لأرطأةَ بن سُهيّة المُريّ لما جافاه الـذوق السليم ولزمته الغفلة في مخاطبة الملوك، وكان قد بلغَ مائـة وثلاثـين سـنةً، فـدخل علـى عبد الملك فقال له: ما بقيَ من شِعرِك يا بنَ سُهيّة؟ فقال: واللهِ ما أشـربُ ولا أطـربُ ولا أغضبُ، ولا يجيءُ الشّعرُ إلا على مثلِ إحدى هذه الخِلال، وإني لأقول(18):

رأيـتُ المـرءَ تأكلُـهُ الليـالي كأكْـلِ الأرضِ سـاقطةَ الحديـدِ
ومـا تَبْغـي المنيّـةُ حـين تـأتي علـى نفْـسِ ابـنِ آدمَ مـن مَزيـدِ
وأعلـمُ أنهـا سـتكُرُّ حتـى تُـوفِّي نَـذْرَها بـأبي الوليـدِ

وكان أرطأةُ يُكنى بأبي الوليد، وعبدُ الملكِ يُكنى بأبي الوليد كذلك، فارتـاعَ عبـدُ الملك واشتدّ ذلك عليه، وتغيّر لونُ وجهه ظناً بأنه يعنِيه، فقـال لـه أرطـأة: إنـي لم أعْنِـكَ وإنما عَنَيْتُ نفسي، وشهدَ عندهُ جماعةٌ أنّ كُنيتَـه أبـو الوليـد فأمسكَ عنه، ولـولا ذلـك لأوقعَ به وأهلَكَه، لذا «ينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره، ومفتتح أقواله مما يُتطير منه، أو يستجفى من الكلام والمخاطبات كذكر البكـاء ووصـف الخطـوب الحادثـة، فـإن

15- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني 279.

16- المصدر نفسه 175.

17- المصدر نفسه 280.

18- المصدر نفسه 281.

الكلام إذا كان مؤسساً على هذا المثال تطير منه سامعه وغن كان يعلم أن الشاعر إنما يخاطب نفسه دون الممدوح »(19).

ومن ملاحظات عبد الملك بن مروان النقدية ما رآه من فساد المعنى وقصوره عن الوفاء بالغرض في قول جرير يفخر بنفسه ويهجو بني الفدوكس رهط الأخطل:

هذا ابن عمي في دمشق خليفة　　لو شئت ساقكم إلي قطينا

فقال له عبد الملك « جعلتني شرطياً لك، أما لو قلت: لو شاء ساقكم إليّ قطيناً لسقتهم إليك عن آخرهم »(20).

فقد فخر جرير بالخلافة، ورهط الأخطل نصارى لا يعنيهم هذا الأمر لأنهم يعلمون أنها لن تؤول إليهم، ولا إرب لهم فيها، فليس هذا ما يفخر به شاعر عليهم، وكان من الأصلح للشاعر أن يفخر بمجد أمته وسؤددهم، أو بخصلة من خصال الكرم والشجاعة، وينفي ذلك عنهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ففي معناه نبو ذوق، إذ لم يعرف لكل رجل قدره، فجعل الخليفة منفذاً لمشيئته أو كما قال: شرطياً له، وفي الشعر والشعراء قيل له: يا أبا حزرة، ما وجدت في بني تميمٍ فخراً تفخر به عليهم حتى فخرت بالخلافة، لا والله إن صنعت في هجائهم شيئاً(21).

واهتم عبد الملك في نقد معاني الشعر بمراعاة الحال، فذهب إلى القول في بيت كُثير:

19- الموشح 277.

20- المصدر نفسه 158. وقد نسبه المرزباني في الموشح مرة أخرى إلى يزيد بن عبد الملك، قال: فقال يزيد بن عبد الملك أو بعض إخوته أترون جهل جرير؛ يقول لي: ابن عمي، ثم يقول، لو شئت ساقكم، أما لو قال: لو شاء ساقكم لأصاب، ولعلي كنت أفعل. الموشح 151. وأوردها ابن طباطبا العلوي في نقد الشعر في قوله: من الأبيات التي زادت قريحة قائليها على عقولهم قول جرير:

هذا ابن عمي في دمشق خليفة　　........

ونسبه د. محمد زغلول سلام إلى عمر بن عبد العزيز قال: وسمع عمر بن عبد العزيز بن مروان قول جرير: هذا ابن عمي ... البيت، وقال له عمر بن عبد العزيز جعلني شرطياً له. تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى آخر القرن الرابع الهجري 90. وقد ساق زغلول كلامه هذا دون الإشارة إلى مصدر أو مرجع من مصادر الأدب ومراجعه.

21- الشعر والشعراء لابن قتيبة 180/1.

فقلت لها ياعز كل مصيبة   إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

إلى أن هذا المعنى لو كان في حرب أو في التقوى والزهد لكان كُثيّر به أشعر الناس.

وفي تعليقه على قول القطامي:

يمشين رهواً فلا الأعجاز خاذلة   ولا الصدور على الأعجاز تتكل

ذهب إلى أنه لو كان في صفة النساء لكان أفضل(22).

وعاب عبد الملك رقة القوافي وما يستهجن منها من الرخاوة واللين، فعندما أنشده ابن قيس الرقيات قوله:

إن الحوادث بالمدينة قد   أوجعنني وقرعن مروتيه
وجببنني جبَّ السنام ولم   يتركن ريشاً في مناكبيه

قال له: أحسنت، لولا أنك خنثت في قوافيك(23).

ومما عابه عبد الملك ورود ألفاظ في الشعر غير شعرية وغيرها أحق بها، فقد أنشده ابن الرقيات مرة

اسمع أمير المؤمنين   لمدحتي وثنائها
أنت ابن معتلج البطا   ح كديها وكُدائها
ولبطن عائشة التي   فضلت أروم نسائها

فلم تعجبه كلمة (بطن) في الشعر المدحي، وآثر عليها كلمة (نسل)(24).

ومن مآخذه قوله لما أنشده الراعي النميري قصيدته فبلغ قوله:

أخليفةَ الرحمنِ إنَّا معشرٌ   حنفاءُ نسجدُ بكرةً وأصيلا

22- الموشح 180.

23- الشعر والشعراء 2/451-452.

24- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، طه أحمد إبراهيم 40.

عربٌ نرى لله في أموالنا   حقَّ الزَّكاةِ منزَّلاً تنزيلا

فقال عبد الملك: ليس هذا شعرا، هذا شرح إسلام، وقراءة آية(25)؛ فالشعر في رأيه يجب ألا يغفل فيه الشاعر الجانب الفني الذي يحرك المشاعر ويهز العواطف، واللغة فيه يجب أن تمتلك بعداً فنياً مؤثراً «وقد فرق الخليفة في -لغة الشعر- بين الأجواء التي يخلقها المبدع في نصه وبين ترجمة الآيات القرآنية وتحويلها إلى شعر»(26)، وهذه الأبيات -في رأي عبد الملك- ليست أكثر من إعادة انتاج قيم سابقة على وجود النص، وليس للشاعر فضل إلا في صياغتها. وهذان البيتان من قصيدة طويلة عدّتها تسعة وثمانون بيتاً، لراعي الإبل النميري، وقد مدح بها عبد الملك بن مروان.

ومن مآخذه أنه سمر ليلة وعنده كثير عزة، فقال له: أنشدني بعض ما قلت في عزة، فأنشده إلى أن وصل:

هممت وهمت ثم هابت وهبتها   حياء، ومثلي بالحياء حقيق

فقال عبد الملك: أما والله لولا بيت أنشدتنيه قبل هذا لحرمتك جائزتك، قال: ولمَ ياأمير المؤمنين؟ قال: لأنك شركتها معك في الهيبة ثم استأثرت بالحياء دونها، قال فأي بيت عفوت به عني؟ قال: قولك:

دعوني لا أريد بها سواها   دعوني هائماً فيمن يهيم(27)

ففي البيت الأول وصف كثّير نفسه بصفات لا يصف نفسه بها عاشق متيم أحرقته الصبابة، بل الظاهر في البيت أن كثيراً مدح نفسه بأكثر مما تغزل في حبيبته حين وصف نفسه بالمهابة والجلال والخفر والحياء، وإنما تلك من صفات المحبوبات لا صفات المحبين، ومن أجل ذلك عاب عبد الملك كثّيراً في البيت الأول، لأنه -أي كثير- أشرك محبوبته معه في الهيبة ثم استأثر بالحياء دونها، وكان الأولى أن توصف هي بالحياء، أما البيت الثاني الذي من أجله عفا عنه فإنه يحمل في طياته هوى عاشق متيم أحب فطلب

25- الموشح للمرزباني 191.

26- لغة النقد القديم بين المعيارية والوصفية حتى نهاية القرن السابع الهجري، عبد السلام محمد رشيد ص 37.

27- العقد الفريد لابن عبد ربه، ت خليل شرف الدين 235/5.

أن يُترك هائماً في عشق محبوبته لا يبتغي به بدلاً.

وقد استفاد قدامة بن جعفر من نقد عبد الملك بن مروان فبنى قاعدة نقدية في فن النسيب مفادها، أنه يجب أن يكون النسيب الذي يتم به الغرض هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك في الصبابة، وتظاهرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة، وما كان فيه التصابي والرقة أكثر مما يكون من الخشن والجلادة ومن الخشوع والذلة أكثر مما يكون فيه من الإباء والعزة، وأن يكون جماع الأمر فيه ما ضاد التحافظ والعزيمة ووافق الانحلال والرخاوة فإن كان النسيب كذلك فهو المصاب به الغرض(28).

وأنشد كُثير عبد الملك:

على ابن أبي العاصي دلاص حصينة أجاد المسدي سردها وأذالها
يؤود ضعيف القوم حمل قتيرها ويستضلع القرم الأشم احتمالها

فقال له عبد الملك: قول الأعشى لقيس بن معدي كرب أحسن من قولك حيث يقول له:

وإذا تجيء كتيبة ملمومة خرساء يخشى الذائدون نهالها
كنتَ المقدم غير لابس جُنة بالسيف تضرب مُعْلِما أبطالها

فقال -أي كُثير-: يا أمير المؤمنين وصفتك بالحزم، ووصف الأعشى صاحبه بالخرق(29).

يقول قدامة بن جعفر: «والذي عندي في ذلك أن عبد الملك أصح نظراً من كثير، إلا أن يكون غلط واعتذر بما يعتقد خلافه ... والأعشى بالغ في وصف الشجاعة، حيث جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جنة، على أنه وإن كان لبس الجنة أولى بالحزم وأحق بالصواب، ففي وصف الأعشى دليل قوي على شدة شجاعة صاحبه لأن الصواب له ... وقول كثير تقصير في الوصف»(30).

28- نقد الشعر لقدامة بن جعفر ت محمد عبد المنعم خفاجي 134.

29- الموشح 178. يؤوده حملها: يعجزه، استضلع: استثقل.

30- نقد الشعر لقدامة 100.

ومن معرفته بالشعر ومآخذه على الشعراء انه قال: «لأسلم بن الأحنف الأسدي: ما أحسن ما مُدحت به؟ فاستعفاه، فأبي أن يعفيه، وهو معه على سريره، فلما أبى إلا أن يخبره قال: قول القائل:

ألا أيها الركب المخبون هل لكم   بسيد أهل الشام تحبو وترجعوا
من النفر البيض الذين إذا اعتزَوْا   وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا
إذا النفر السود اليمانون نمنموا   له حوك بُرديه أرقوا وأوسعوا
جلا المسك والحمام والبيض كالدمى   وفرق المذاري رأسه فهو أنزع

فقال له عبد الملك: ما قال أخو الأوس أحسن مما قيل لك:

قد حصَّت البيضة رأسي فما   أُطعم نوماً غير تهجاع(31)

ويدخل عبيد الله ابن قيس الرقيات على عبد الملك فينشده مادحاً:

يأتلق التاج فوق مفرقه   على جبين كأنه الذهب

فيقول له عبد الملك: يابن قيس تمدحني بالتاج كأنني من العجم وتقول في مصعب بن الزبير:

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عز ليس فيه   جبروت منه ولا كبرياء(32)

«فوجه عتب عبد الملك إنما هو من أجل أن هذا المادح عدل عن الفضائل النفسية التي هي العقل والعفة والعدل وما جانس ذلك، وأدخل في جملته إلى ما يليق بأوصاف الجسم من البهاء والزينة، وذلك غلط وعيب»(33) وقدامة يرى أن المعاني التي لفت إليها عبد الملك، وتليق بمقام مدح الخاصة إنما هي الجامعة للفضائل والأخلاق والقيم النفسية من عفة وعدل وشجاعة وغير ذلك، أما الأوصاف الحسية من البهاء

31- الموشح للمرزباني 285.

32- الأغاني 1723/5.

33- الموشح للمرزباني 259.

والزينة فإنما هي أوصاف العجم(34)، فالعربي محب للشجاعة والإقدام وكشف الظلم، غير أن المدح بالأوصاف الحسية ورد كثيراً في الشعر العربي ولم يعبه أحد من النقاد، من ذلك قول محمد بن وهيب:

وبدا الصباح كأن غرته   وجه الخليفة حين يمتدح

وقول المتنبي في مدح سيف الدولة:

تمر بك البطال كلمى هزيمة   ووجهك وضاح وثغرك باسم

فهذه وغيرها أبيات فيها أوصاف حسية، وقد كانت حسنة في مواضعها، ولم يردها أحد من النقاد.

ومن مآخذه أنه أنشده أحد الرواة بيت الأعشى:

أتاني يؤامرني في الصبو   ح ليلاً فقلت له غادها

فقال عبد الملك: أساء ألا قال هاتها؟(35).

ومن مآخذه على الشعراء في الغزل ما يرويه ابن قتيبة قال: « دخل الأقيشر على عبد الملك بن مروان وعنده قومٌ، فتذاكروا الشعر، وذكروا قول نصيبٍ(36):

34- نقد الشعر لقدامة بن جعفر 185.

35- ولا يفهم من كلام عبد الملك (هاتها) معاقرته الخمر في مجالسه، بل الأمر على عكس ذلك؛ فقد ورد أن الأخطل دخل على عبد الملك بن مروان فاستنشده فقال: قد يبس حلقي فمر من يسقيني، فقال: اسقوه ماء، قال: شراب الحمار، وهو عندنا كثير، قال: اسقوه لبناً، قال عن اللبن فطمت، قال: اسقوه عسلاً، قال: شراب المريض، قال: فتريد ماذا؟ قال: خمراً ياأمير المؤمنين، قال: أوعهتني اسقي الخمر لا أم لك، لولا حرمتك بنا لفعلت بك وفعلت، الأغاني 3040. فعبد الملك لا يسقي الخمر في مجالسه، ولا يشربها بين جلاسه، أما ما ذكر من دخول الأخطل عليه وهو سكران فربما ذلك مما تقتضيه مصالح السياسية وشئون الدولة.

36- نصيب بن رباح، أبو محجن، مولى عبد العزيز بن مروان: شاعر فحل، مقدم في النسيب والمدائح. كان عبدا أسود لراشد بن عبد العزى من كنانة، من سكان البادية. وأنشد أبياتا بين يدي عبد العزيز بن مروان، فاشتراه وأعتقه. وكان يتغزل بأم بكر (زينب بنت صفوان) وهي كنانية، وفي بعض الروايات (زنجية) ومن شعره فيها قصيدة مطلعها:

=

أَهيمُ بدَعْدٍ ما حِييتُ فإِنْ أَمُتْ   فيا وَيْحَ دَعْدٍ مَنْ يَهيمُ بها بَعْدِى

فقال الأقيشر: والله لقد أساء قائل هذا الشعر، قال عبد الملك: فكيف كنت تقول لو كنت قائله؟ قال: كنت أقول:

تُحبُّكُمُ نَفْسى حَيَاتى فإِنْ أَمُتْ   أُوَكِّلْ بدَعْدٍ مَنْ يَهيمُ بها بَعْدِى

قال عبد الملك: والله لأنت أسوأ قولا منه حين توكل بها! فقال الأقيشر: فكيف كنت تقول يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت أقول:

تُحبُّكُمُ نَفْسى حَيَاتى فإِنْ أَمُتْ   فلا صَلُحَتْ هِنْدُ لذي خُلَّةٍ بَعْدى

فقال القوم جميعاً: أنت والله يا أمير المؤمنين أشعر القوم»(37).

وقد تضاربت الروايات لهذا النص، فالبغدادي في الخزانة ينقل عن أبي الفرج الأصفهاني أن نقد الأبيات كان بين الشعراء أنفسهم لا بين رواتهم، وأن النقد كان لكثيّر، قال -أي- البغدادي: روى صاحب الأغاني بسنده، أن عمر بن أبي ربيعة المخزومي قدم المدينة لأمر، فأقام شهراً ثم خرج إلى مكة، وخرج معه الأحوص معتمراً. قال السائب راوية كثير: فلما مرا بالروحاء استتلياني، فخرجت أتلوهما حتى لحقتهما بالعرج، فخرجنا جميعاً حتى وردنا ودان، فحبسهما نصيب، وذبح لهما، وأكرمهما، وخرجنا وخرج معنا نصيب، فلما جئنا إلى منزل كثير، فقيل لنا: قد هبط قديداً. فجئنا قديداً، فقيل لنا: إنه في خيمةٍ من خيامها، فقال لي ابن أبي ربيعة: اذهب فادعُه لي. فقال نصيب: هو أحمق أشد كبراً من أن يأتيك، فقال لي عمر: اذهب كما أقول لك. فجئته فهش لي، قال: فأبلغته رسالة عمر، فحدد لي نظره ثم قال: أما كان عندك من المعرفة بي ما كان يردعك عن إتياني بمثل هذا؟ فقلت: بلى، ولكن سترت عليك، فأبى الله إلا أن يهتك سترك. قال: إنك والله يا ابن ذكوان ما أنت من شكلي، قل لابن أبي ربيعة: إن كنت قرشياً

=

بزينب ألمم، قبل أن يرحل   وقل: إن تملينا فما ملك القلب

له شهرة ذائعة، وأخبار مع عبد العزيز ابن مروان وسليمان بن عبد الملك والفرزدق وغيرهم. وكان يعد مع جرير وكثير عزة. وسئل عنه جرير، فقال: أشعر أهل جلدته. توفي سنة 113 وقيل: 111، الأغاني طبعة الدار 1: 324 - 377 و 12: 324، والشعر والشعراء 322/1.

37- الشعر والشعراء 324/1. الموشح 225.

فإني قرشي! فقلت: ألا تترك هذا التلصق؟. فقال: والله لأنا أثبت فيهم منك في دوس. ثم قال: وقل له إن كنت شاعراً فأنا أشعر منك. فقلت: هذا إذا كان الحكم إليك. قال: وإلى من هو؟ ومن أولى به مني؟ فرجعت إلى القوم فأخبرتهم، فضحكوا ثم نهضوا معي إليه، فدخلنا عليه في خيمةٍ فوجدناه جالساً على جلد كبش فوالله ما أوسع للقرشي، فتحدثوا ملياً، ثم أفضوا في ذكر الشعر. فأقبل على عمر ... قال: وأنت يا أسود -يعني نُصيباً- أخبرنا عن قولك:

أهيم بدعدٍ ما حييت وإن أمت فواكبدي من ذا يهيم بها بعدي

فأبلس نصيب. فلما سكت كُثِّرٌ أقبل عليه عمر، فقال: قد أنصتنا لك فاستمع، أخبرني عن قولك لنفسك وتخيرك لمن تحب حيث تقول:

ألا ليتنا يا عز من غير ريبةٍ بعيران نرعى في الخلا ونعزب

وقد أوردنا القصة على طولها لندلل على نقد كُثّر للأبيات، وأن النقد هنا للشعراء لا لرواتهم، وأوردها أبو الفرج برواية أخرى للسيدة سكينة(38)، يقول: «سكينة تحكم في شعر الشعراء» أخبرني ابن أبي الأزهر قال حدثنا حماد عن أبيه عن أبي عبد الله الزبيري قال اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية نصيب وراوية الأحوص، فافتخر كل واحد منهم بصاحبه وقال صاحبي أشعر، فحكموا سكينة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهما لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر، فخرجوا يتقادون حتى استأذنوا عليها فأذنت لهم فذكروا لها الذي كان من أمرهم ... ثم قالت لراوية نصيب أليس صاحبك الذي يقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أَمُت فيا حَرَبا من ذا يهيم بها بعدِي

فما أرى له همة إلا من يتعشقها بعده قبحه الله وقبح شعره ألا قال:

38- سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب: نبيلة شاعرة كريمة، من أجمل النساء وأطيبهن نفسا. كانت سيدة نساء عصرها، تجالس الأجلة من قريش، وتجمع إليها الشعراء فيجلسون بحيث تراهم ولا يرونها، وتسمع كلامهم فتفاضل بينهم وتناقشهم وتجيزهم، وكانت إقامتها ووفاتها بالمدينة. الأغاني 5923/16، وفيات الأعيان لابن خلكان 329/2.

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فلا صَلَحت دعد لذي خُلَّة بعدي(39)

وهذه الرواية نقلها عنه الأبشيهي في المستطرف، وقد اختلفت رواية الأغاني نفسها وتضاربت، لكن لا ندري أي الروايتين أصح، التي نقلها البغدادي، والتي تنص على أن كثيّراً هو الذي نقد الأبيات، أم التي نقلها الأبشيهي، وتفيد أن السيدة سكينة هي التي نقدت الأبيات؟ أما الشيخ أبو علي المرزباني في الموشح فقد أتى بالروايتين جميعاً دون أن يرجح أحدهما على الأخرى، بل أرضى الجميع(40). ثم يأتي التضارب الثاني وهو نسبة البيت خطأً لنصيب، حيث يروي أبو الفرج في أغانيه قصة للنمر بن تولب مفادها أنه: لما فارق النمر بن تولب امرأته الأسدية جزع عليها حتى خيف على عقله، ومكث أياما لا يطعم ولا ينام فلما رأت عشيرته منه ذلك أقبلوا عليه يلومونه ويعيرونه و قالوا إن في نساء العرب مندوحة و متسعا، وذكروا له امرأة من فخذه الأدنين يقال لها دعد، ووصفوها له بالجمال و الصلاح، فتزوجها ووقعت من قلبه وشغلته عن ذكر جمرة وفيها يقول:

أهيمُ بدعد ما حييتُ فإِن أمُتْ أُوَكِّلْ بدَعْدٍ من يَهيمُ بها بَعدِي

قال أبو الفرج: « والناس يروون هذا البيت لنصيب وهو خطأ »(41)، ونسبه الصفدي للنمر بن تولب قال: « ... هذا النمر بن تولب وهو القائل:

أهيم بدَعدٍ ما حَيِيتُ فإن أمُت فوا حَرَبا مَن ذا يَهِيم بها بَعدي »(42)

فهذا الخلط بين الروايات يشكك في نسبة النقد لعبد الملك بن مروان، وإن صح أن البيت للنمرِ بن تولب، فإن قصة السيدة سكينة ونقدها للبيت باطلة من أساسها، وكذلك قصة كثير ونقده.

القسم الرابع: نظرة في مجالس عبد الملك بن مروان ونقده

لأن النقد نوع من القضاء لذا يجب على الناقد ألا تسيطر عليه فكرة خاصة تصير

39- الأغاني 5947/16-5948. والمستطرف للأبشيهي 143/1، باب (أنموذج لسقطات الشعراء).

40- الموشح للمرزباني 139 وما بعدها.

41- الأغاني 280/22.

42- الوافي بالوفيات الصفدي 360/7.

حكمه طعمة للظنون، سواء في ذلك الأفكار الدينية، أو الاتجاهات العقلية أو السياسية التي قد تصبغ التفكير النقدي بلون خاص فتذهب بقيمته الفنية.

ومن تم يجب على الناقد ألا يخضع عند الموازنة أو المفاضلة لغير الحاسة الفنية، فهي التي تنأى به عما يفسد حكمه من الأهواء السياسية أو الأغراض الدينية، ذلك أن بعض الناس قد يطرب للشعر لا لأنه شعر، بل لأنه طرق موضوعاً يحبه، أو كشف عن معنى تميل إليه نفسه.

وتأسيساً على ذلك فإن على الباحث أن يدرس الحالة النفسية لمن يتصدى للنقد، ويعرف أهواءه السياسية، واتجاهاته الفكرية قبل الاعتداد بما أصدر من أحكام، لأن الأحكام الصادرة تتبع ما للنقاد من ألوان النفوس وصور العقول، وكم من أحكام خضع فيها أصحابها لفكرة قومية أو رأي حزبي، وإنك لواجد -باستقراء فصول الأدب العربي ونصوصه- إسراف النقاد في الأحكام حين تصدروا للفصل بين الشعراء وقد تحكمت فيهم أهواء خاصة، وسيطرت عليهم نزعات وأحاسيس مختلفة، وستجد مصداق ذلك في حكومة أم جندب بين امرئ القيس زوجها، وعلقمة الفحل، وتغليب شعر علقمة على شعر زوجها، وما قاله امرؤ القيس وقتئذ، بل ما أومأ إليه النقاد مما يكرهه النساء في امرئ القيس، وإني لأحب أن يستعفيني القارئ الكريم من ذكر ذلك، وستجد كذلك أحكاماً اتسمت بسمة الغيرة على الجنس والدفاع عن النوع، وأقرأ في ذلك ما عقدته السيدة سكينة بنت الحسين من موازنات بين الشعراء، وسترى أن نقدها متأثر بالعطف على المرأة، دون النظر إلى قيمة الشعر الفنية، وأيضاً ما نجده من أحكام بين شعراء الأحزاب الدينية.

قلت يجب على الناقد ألا يخضع لغير الحاسة الفنية، فإن فعل واستجاب لغير حاسته الفنية فإن خللا سيكون في نقده، فإن عبد الملك بن مروان الذي كان من أبصر أهل عصره بالشعر ونقده -من الخلفاء- لما أنشده الأخطل قصيدته (خف القطين) والتي يقول فيها:

نفسي فداء أمير المؤمنين إذا ... أبدى النواجذ يوم عارم ذكر
الخائض الغمر والميمون طائره ... خليفة الله يستسقى به المطر
في نبعة من قريش يعصمون بها ... ما إن يوازى بأعلى نبتها الشجر

حُشدٌ على الحق عيافو الخنا أُنُفٌ   إذا ألمت بهم مكروهة صبروا
لا يستقل ذوو الأظغان حربهموا   ولا يُبيِّت في عيدانهم خور
شُمس العداوة حتى يستقاد لهم   وأوسع الناس أحلاماً إذا قدروا
هم الذين يبارون الرياح إذا   قل الطعام على العافين أو قتروا
بني أمية نعماكم مجللة   تمت فلا منة فيها ولا كدر

طرب عبد الملك وقال: أأنادي في الناس أنك أشعر العرب(43)، والحقيقة أن الأخطل لم يكن أشعر العرب كما يزعم عبد الملك، فقد كان في الميدان جرير والفرزدق؛ جرير الذي قال عنه محمد بن سلام: قال العلاء بن حريز العنبري وكان شيخاً قد جالس الناس: إذا لم يجيء الأخطل سابقاً فهو سُكيتٌ، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سُكيتاً، وجرير يجيى سابقاً ومصلياً وسُكيتاً(44)، وقال ابن سلام في الطبقات: «سألت بشاراً العقيلي عن الثلاثة، فقال: لم يكن الأخطل مثلهما، ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه»(45) وإذا أردنا الإنصاف فلنرجع إلى قول ابن قتيبة الذي أورده ابن رشيق في العمدة، يقول: «كتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية، وأشعر شعراء وقته، فقال: أشعر شعراء الجاهلية امرؤ القيس، وأضربهم مثلاً طرفة، وأما شعراء الوقت فالفرزدق أفخرهم، وجرير أهجاهم، والأخطل أوصفهم»(46)، لكن عبد الملك خضع في نقده للمصلحة الذاتية لا للحاسة الفنية، فقد كان الأخطل سليط اللسان خبيث الهجاء، وكان عبد الملك يستعين به على لذع من يناوئه من رجال السياسة وشعراء الأحزاب، ومن هنا كانت دالة الأخطل عليه، حتى إنه كان ليدخل عليه ولحيته تنفض خمراً.

43- ينظر تفاصيل القصة في الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني 3034/8.

44- قال ابن سلام: وتأويل قوله، أن للأخطل خمساً أو ستاً أو سبعاً طوالاً روائع غرراً جياداً، هو بهن سابق، وسائر شعره دون أشعارهما، فهو فيما بقي بمنزلة السكيت،والسكيت: آخر الخيل في الرهان. ويقال إن الفرزدق دونه في هذه الروائع، وفوقه في بقية شعره، فهو كالمصلي أبداً. والمصلي: الذي يجئ بعد السابق، وقبل السكيت. وجرير له روائع هو بهن سابق، وأوساط هو بهن مصلٍّ، وسفسافات هو بهن سكيت. طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي 375/2.

45- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، 374/2.

46- العمدة لابن رشيق القيرواني 96/1.

إن السياسة والدفاع عن ملك بني أمية وتأييد حقوقهم في الخلافة، وحاجة الملك إلى الإعلام الموجه أغرى عبد الملك بحب شعر الأخطل، والحكم عليه بأنه أشعر العرب، وأسكته عن كثير من شعره الذي جهر فيه بتحقير الفرائض الإسلامية مثل قوله:

ولست بصائم رمضان طوعاً   ولست بآكل لحم الآضاحي
ولست بزاجر عنساً بكوراً   إلى بطحاء مكة للنجاح
ولست منادياً أبداً بليل   كمثل العَير حيى على الفلاح
ولكني سأشربها شمولاً   وأسجد قبل منبلج الصباح

وقد ظن بعض المؤلفين أن عبد الملك سكت عن هذا الشاعر لجمال شعره وحسن ديباجته وتقدمه على معاصريه، فنظمه في سلك الفحول المجودين قال: « ومن الفحول المتأخرين الأخطل، واسمه غياث بن غوث ... »(47)، وإلا فكيف يهتز خليفة المسلمين عبد الملك لشعر الأخطل النصراني وهو القائل وقد دخل على عبد الملك بعد أن عبأ كؤوساً من الخمر:

إذا ما نديمي علّني ثم علّني   ثلاث زجاجات لهن هدير
خرجت أجر الذيل زهواً كأنني   عليك أميرَ المؤمنين أمير

وذائع مشهور كذلك أن الأخطل كان يدخل على عبد الملك بن مروان « وعليه جبة من خز، وحرز خز، وفي عنقه سلسلة ذهب فيها صليب ذهب، تنفض لحيته خمراً حتى يدخل على عبد الملك بغير إذنه »(48). يفعل الأخطل ذلك مع خليفة المسلمين وولي أمرهم، والدين في عنفوانه، والناس على نصره حراص، ليس هذا فحسب، بل إن للأخطل سوابق في التهتر والحط من شأن المسلمين، وتناول أعراضهم، وهمز أشرافهم، أليس هو القائل في الأنصار ﵃ ليزيد بن معاوية لما شبب عبد الرحمن بن حسان بعمته فاطمة بنت أبي سفيان وقيل بأخته:

خلو المكارم لستم من أهلها   وخذوا مساحيكم بني النجار

47- العمدة لابن رشيق القيرواني 44/1.

48- الأغاني 3045/8.

ذهبت قريش بالمكارم والعلى   واللؤم تحت عمائم الأنصار

ولولا شعره في نصرة بني أمية لقتل دون أقل من ذلك، بل إن الأخطل ليتمادى أكثر من ذلك عندما يتدخل في شؤون الدولة وخاصة الملك إيقاظاً للفتنة بين المسلمين؛ فإنه لما آلت الغلبة للفرع المرواني لجأ زفر بن الحارث(49) إلى قلعة قرقيسيا إلى أن أدناه عبد الملك بن مروان تقرباً للقيسية المناوئين له وأجلسه على سريره، فدخل الأخطل ذات يوم على الخليفة حانقاً، فسأله عن السبب واستوضحه الأمر فقال أجل والله ياأمير المؤمنين حين تُجلس عدو الله هذا معك على السرير وهو القائل بالأمس:

قد ينبت المرعى على دمن الثرى   وتبقى حزازات النفوس كما هيا

فقبض عبد الملك على رجله وضرب بها صدر زفر فقلبه عن السرير وهو يقول: «اذهب الله حزازات تلك الصدور»(50) ، وقد أراد الأخطل بهذا تذكير عبد الملك بتلك الفتن والحزازت وبعثها من جديد، وباستقراء حياة الأخطل التحريضية نجده يحذر عبد الملك -مرة أخرى- من الائتمان إلى زفر بن الحارث هذا، مثيرا شكوكه حول إخلاصه لبني أمية يقول(51):

بني أمية إني ناصح لكم   فلا يبيتن فيكم آمناً زفر
إن الظغينة تلقاها وإن قدمت   كالعَر يكمن حيناً ثم ينتشر

قلت: اهتز عبد الملك إذن لهذا الشعر واهتم به اهتماماً بالغاً، وأدنى قائله وأكرمه

---

(49)- هو زفر بن الحارث أبو الهذيل ويقال أبو عبد الله الكلابي. سمع عائشة ومعاوية. وسكن البصرة وانتقل إلى الشام بعد الجمل. وكان في جيش البصرة الذي خرج لإعانة عثمان في الحصر. وشهد صفين أميراً على أهل قنسرين وهم في الميمنة. وشهد وقعة مرج راهط كان زبيرياً مع الضحاك بن قيس وأصيب له يومئذ ثلاث بنين. ثم هرب ولحق بقرقيساء من أرض الجزيرة فتحصن بها. وهو الذي يقول: من الطويل

فإني زبيري الحياة فإن أمت   فإني لموص هامتي بالتزبر

ومات زفر أيام عبد الملك بن مروان. خزانة الأدب للبغدادي 372/2، والأعلام للزر كلي 45/3.

(50)- الأغاني 3043/8. ونقائض جرير والفرزدق 60-61.

(51)- الأغاني 3042/8 3041

ووصله رغم تهتره، ومعاقرته الخمر، ودخوله عليه بغير إذنه دون بقية الرعية غير عابئ بأبهة الملك، ورغم نصرانيته وما تجره على المسلمين من ويلات، فلمع اسمه في سماء شعر عبد الملك، وعلا نجمه في بني أمية المتعصبين له، حتى بات شاعر الدولة الرسمي، وما ظنكم بقوم يحظى ابن النصرانية فيهم بأرفع منزلة، وينال أعلى مرتبة، ويجتمع له إعجاب النقاد وقتئذ وعلماء الشعر والرواة، فيقول أحدهم (حماد الراوية): «ويحكم؟ ما أقول في شعر رجل قد والله حبب إليّ شعره النصرانية»(52).

نعم إن من البله أن نظن أن جودة الشعر هي التي قربت الأخطل من عبد الملك، أو أن جزالة اللفظ وقوة الأسلوب كانت سبب الحظوة كما تُوهِم.

صحيح أن سمات العبقرية الفنية ظاهرة في صنيع الأخطل، وأن ألفاظه جزلة ومعانيه متلاحمة، فيها الاتزان والوقار التي هي من بدائع إطالة النظر والاحتكام للمنطق والعقل، وقد جاء عنه في ذلك أنه قال لعبد الملك مرة: «زعم ابن المراغة -يعني جريراً- أنه يبلغ مدحتك في ثلاثة أيام، وقد أقمت في مدحتك (خف القطين) سنة فما بلغت كل ما أردت»(53)، وكلامه هذا ينظمه في سلك عبيد الشعر الذين يذكرهم الأصمعي، وهي مزيّة أومأ إليها أبو الفرج الأصفهاني حين ذهب إلى أن الأخطل اجتمع له تسعون بيتاً اختار منها ثلاثين(54)، فقد كان يطيل النظر في معانيه ويزيدها بالوعي تهذيباً مراعاة لمقام الممدوح.

وصحيح كذلك أن عبد الملك بن مروان ذواقة للشعر عارف لمساربه ناقد لأساليبه بصير بعيوبه، وقد أثر عنه عنايته بالشعر وحفظه وروايته لدرجة مناظرة الشعراء الفصحاء والمفاضلة بينهم، لكن الأصح من هذا وذاك أن إعجاب عبد الملك بشعر الأخطل لم يكن منشؤه الذوق الفني المحض، ولا البصر بالشعر الجيد ودلالة الألفاظ بقدر ما كان مبعثه ما أحكمه الشاعر من موازنة بين غرضي المديح والهجاء، وما سطر من بيان أعلى فيه من شأن الأمويين وغمز قناة معارضيهم، وهو ما ينشده الخليفة الناقم، سيما وأن الشاعر دل بالمديح على عاطفة الولاء الصادقة، وما تحمله من تقدير وإعجاب ليس صادراً عن عقيدة محضة ولا إيمان راسخ بحقوق بني أمية، وأنى له ذلك

52- مواقف في الأدب الأموي، عمر فاروق الطباع ص74.

53- الأغاني 3033/8-3034.

54- المصدر نفسه 3030/8.

وهو النصراني الحاقد؟.

إن قصيدة (خف القطين) التي نال بها الأخطل لقب شاعر بني أمية، إنما نظمها عقب انتصار عبد الملك على مصعب بن الزبير في العراق، وقد قال عنها عبد الملك: «هذه المزمرة والله لو وضعت على زبر الحديد لأذابتها»[55]، إن هذه القصيدة تعد من أخطر قصائد الأخطل السياسية، والتي أرخ فيها لجوانب الصراع المختلفة في عصره، وكشف بها عن أحداث بيئته، فإلى جانب مدح عبد الملك بن مروان وبني أمية تجاوز إلى هجاء القيسية أعداء بني مروان وتغلب قوم الشاعر، كما نال فيها من بني كليب قوم جرير، وقد افتخر الشاعر فيها بدوره في تأييد بني أمية وإسهام قومه في كسر شوكة القيسية، ولعل هذه الأسباب مجتمعة هي مبعث الثناء على قصيدة (خف القطين).

على أن الكلام على الأخطل ليس مقصود البحث، وإنما جرنا القلم، واستطرد بنا الحديث، فأدركنا أن هوى الخلفاء -غالباً- ما يكون مع الذين يشايعونهم، أو يخلصون لهم الولاء، ولا أدل على ذلك من تلك الموازنة التي أقامها الخليفة بين بيتي عبيد الله بن قيس الرقيات[56] وهي قوله:

خليفة الله فوق منبره جفت بذلك الأقلام والكتب
يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

وبين قوله في مصعب بن الزبير:

إنما مصعب شهاب من اللـ ـه تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عز ليس فيه جبروت ولا به كبرياء

---

[55] الأغاني 1723/5.

[56] هو عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة. كان يناصر مصعب بن الزبير ويمدحه وينال عطاياه، ولما انتصر عبد الملك بن مروان على مصعب وقضى على الحزب الزبيري تماماً أسرع ابن الرقيات بالهرب، ثم لاذ بعبد الله بن جعفر بن أبي طالب. وأخيراً رجع لحمى عبد الملك بن مروان بعد أن طلبت له الأمان أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوجة الوليد بن عبد الملك، في قصة ذكرها أبو الفرج في أغانية. 1720/5. على أن المتتبع لشعر ابن الرقيات وما نظمه من مديح في عبد الملك بن مروان يجده ينعته دائماً بشرف المحتد وقوة الملك، مازجاً هذه النعوت بتعابير دينية ترضي الأمويين وتؤكد حاجتهم إلى التأييد المعنوي كالذي مرّ.

فقال عبد الملك «يابن قيس تمدحني بالتاج كأنني من العجم، وتمدح مصعباً بأنه شهاب من الله»(57).

وواضح جلي أن ما أنكره عبد الملك «لم يكن مرجعه إلا الاحتكام إلى الواقع دون التعبير نفسه، إذ إنه لم يُعَبْ منه شيء من ناحية الصياغة والأداء، بل إنه مكتمل لا غبار عليه»(58).

وتأسيساً على ما مضى فإن عبد الملك أقام تلك الموازنة بينه وبين خصمه سياسياً لا فنياً، ولعل أبيات ابن الرقيات في التحريض على بني أمية ماثلة أمام ناظري الخليفة وهي قوله ناقماً على بني أمية(59).

كيف نومي على الفراش ولما   تشمل الشأم غارة شعواء
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي   عن خدام العقيلة العذراء

ولم يكن الفرزدق بأحسن حالاً من ابن الرقيات، ففي كثير من المواضع قدم عبد الملك جريراً على الفرزدق، والمتتبع لسيرة الشاعر يجده «لم يقيد نفسه بخط سياسي واحد ثابت، إنما كان يتكيف وسط الاتجاهات المتباينة والآراء المتنازعة تبعاً لعاملي الرغبة والرهبة»(60) ، وبذلك فهو لم يصل –في ولائه السياسي– إلى درجة الأخطل ولا جرير، ومن ثم فإن علاقته بالبيت الأموي سادها كثير من الاضطراب وعدم الاستقرار، فلم يعلقوا عليه آمالهم في الدفاع عنهم، ولم يقربوه لينافح عن حقهم في الخلافة، بل وجدوا في شعره المؤيد لهم انفعالات طارئة، ونوعاً من الملق السياسي ألجأه إليه الطمع في الحظوة أو الخوف من الأذية، وإذا ما عدنا إلى تاريخه السياسي مع الأمويين نجد مصداق ذلك، فهو «لم يتردد في السخط عليهم وهجائهم في ظروف شتى ولأسباب قبلية، فقد تهدد معاوية لأنه احتبس عطاء كان قد أمر به لعمه (الحُتات)(61)، وهجا

57– الأغاني 1723/5.

58– أصول النقد الأدبي، طه مصطفى أبو كريشة 29.

59– الأغاني 1722/5

60– موقف في الأدب الأموي 95.

61– وفد الحتات عم الفرزدق على معاوية، فخرجت جوائزهم، فانصرفوا، ومرض الحتات، فأقام عند معاوية حتى مات، فأمر معاوية بماله، فأدخل بيت المال، فخرج الفرزدق إلى معاوية، وهو غلام، فلما أذن للناس دخل بين السماطين، ومثل بين يدي معاوية، فقال:

=

هشام بن عبد الملك لتوليته خالداً القسري على العراق، وعرّض به مرة أخرى في الحرم ومدح زين العابدين »(62).

وبالجملة فلم يكن الفرزدق من أنصار الأمويين ولا هواه في مديحهم، وما وُجد من ذلك فإنما هو لكسب عطائهم واتقاء بطشهم، ولعل تلك المواقف في هجاء الفرزدق لبني أمية كافية في غض بصر عبد الملك عن شعره، والتقليل من أهميته، وتقديم غيره عليه.

ومن ثم نستطيع القول إن نقد عبد الملك بن مروان للشعراء إنما كان تبعاً لهواه السياسي أكثر منه الفني، وما دأب عليه أكثر دارسي الأدب العربي القديم من تحلية

=

أبوك وعمي يا معاوي ورثا   تراثاً فيحتاز التراث أقاربه
فما بال ميراث الحتات أكلته   وميراث حرب جامد لي ذائبه؟
فلو كان هذا الأمر في جاهلية   علمت من المولى القليل حلائبه
ولو كان هذا الأمر في ملك غيركم   لأداه لي أو غص بالماء شاربه

فقال له معاوية: من أنت؟ قال: أنا الفرزدق قال: ادفعوا إليه ميراث عمه الحتات، وكان ألف دينار، فدفع إليه. الأغاني 8641/25-8642.

62- جاء في الأغاني 8652/25-8654، أن هشام بن عبد الملك حج في خلافة أخيه، ومعه رؤساء أهل الشام، فجهد أن يستلم الحجر فلم يقدر من ازدحام الناس، فنصب له منبر فجلس عليه ينظر إلى الناس، وأقبل علي بن الحسين وهو أحسن الناس وجهاً، وأنظفهم ثوباً، وأطيبهم رائحة، فطاف بالبيت، فلما بلغ الحجر الأسود تنحى الناس كلهم وأخلوا له الحجر ليستلمه، هيبة وإجلالاً له، فغاظ ذلك هشاماً وبلغ منه، فقال رجل لهشام: من هذا أصلح الله الأمير؟ قال: لا أعرفه، وكان به عارفاً، ولكنه خاف أن يرغب فيه أهل الشام ويسمعوا منه. فقال الفرزدق وكان لذلك كله حاضراً: أنا أعرفه، فسلني يا شامي. قال: ومن هو؟ قال:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته   والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم   هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها   إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته   ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
فليس قولك من هذا بضائره   العرب تعرف من أنكرت والعجم

فحبسه هشام فقال الفرزدق:

أيحبسني بين المدينة والتي   إليها قلوب الناس يهوي منيبها
يقلب رأساً لم يكن رأس سيدٍ   وعيناً له حولاء باد عيوبها

الخليفة عبد الملك بن مروان بأوصاف النقدة الأدباء الذين حفظوا الشعر وأجادوا روايته، إنما يُعزى بالدرجة الأولى إلى عدم المنافس له في حلبة النقد التي يقيمها في مجالسه، وأنى لناقد أو شاعر أن يتصدى للخليفة أو يرد رأيه.

الخاتمة: خلفت المجالس الأدبية الأموية ثروة هائلة من الشعر والأدب وتراثاً ضخماً من النقد بروح عربية خالصة لا تشوبها شائبة فارسية أو أعجمية، وفطرة سليمة قادرة على التذوق والنقد السليم، ولعل ممن أتوا نصيباً من سلامة الفطرة والقدرة على التذوق الأدبي أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان الذي جمع إلى الرياسة والقيادة العلم والثقافة والأدب، فكان عارفاً بالشعر حاذقاً له، وكانت مجالسه واحدة من تلك المجالس الأدبية التي أبرزت محاسن الشعر وعيوبه، وكشفت عن الذوق الأدبي الرفيع وملكة النقد التي تمتع بها الخليفة -وإن عزونا شيئاً منها إلى جانب السياسة وممالئة السلطة الحاكمة- كما بينت مجالسه سمات هذا العصر الزاخر بالأدب شعره ونثره، وقد وجد له بها سوقاً نافقة، حتى أضحت العناية به ونقده ظاهرة عامة بين أوساط المجتمع ككل.

وقد كان مجال الدراسة الناقدة في المجالس ضيقاً محدوداً، فغالباً ما يكتفى في تلك الأحكام باللمحة الخاطفة والنظرة الجزئية إلى البيت أو البيتين من مجموع شعر الشاعر كله، وعلى إثر ذلك تصدر الأحكام السريعة المطبوعة بطابع العجلة والارتجال دون ترو أو تدقيق، فالوقت الذي كان يراد به أن يستوعب الكثير من الألوان الفنية الشعرية ونقدها نقداً فنياً كان لا يتسع لبسط الرأي الواحد أو توضيحه، أو شرح الأسباب الداعمة له، ناهيك عما إذا كان يقصد بالرأي تأييد من يترأسون تلك المجالس حين يكون هواه في تفضيل شاعر بذاته لأنه شاعرهم، أو لأنه ممن يشايعهم الرأي، ولعل في نقد عبد الملك بن مروان السياسي -إن جاز التعبير- إدراك لوظيفة الشعر السياسية، والتي تعهدها عبد الملك وأثاب الشعراء عليها، غير أنه -وبالنظر لهذه الوظيفة- لم يهمل جانب الشعر التعليمي التربوي، والذي رأيناه من خلال وصيته لمؤدب ولده.

أما عن التجربة الشعرية والموسيقى الداخلية والخارجية وإن لم يستحدث لها عناوين، ولم يرتب ذلك ضمن قضايا إلا أن كلماته عنها تكاد تتفق مع ما وصل إليه أو نقله المحدثون، بل قد تسبقه في بعض الأحيان، فإذا ما جئت الصياغة وأثرها في العمل الأدبي فإن الخليفة الناقد وضع يده على الدور الهام الذي تقوم به الألفاظ من حيث هي وسيلة إلى التعبير عن المعاني والأفكار، فالمعاني مختزنة في النفس حتى تبرزها الألفاظ وتدل عليها، وفي سبيل توافر الجمال الأدبي للكلمة لم يغفل الخليفة الحديث عن درجة

المواءمة بين الصياغة وبين ما تحويه من معان وأفكار، فتحدث عن جودة اللفظ والمعنى، وكشف عن أسرار دلالات التراكيب وحسن المطالع وما يمدح به الملوك.

مصادر ومراجع البحث

1. أصول النقد الأدبي، طه مصطفى أبو كريشة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط. الأولى 1996م.
2. الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط. الحادية عشرة، 1995م.
3. الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ت: إبراهيم الأبياري، ط. دار الكتب 1969.
4. الأمالي لأبي علي القالي
5. تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط. التاسعة والعشرون، 1985م.
6. تاريخ الخلفاء للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط. الأولى، 1371هـ - 1952م.
7. تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. بدون تاريخ.
8. جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، قدم له أ. علي فاعور دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. الثانية، 1992 م.
9. خزانة الأدب، لعبد القادر البغدادي، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. الرابعة 1997 م.
10. دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث الهجري، بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. السابعة 1975 م.
11. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ت، محمود محمد شاكر، دار المدني جدة، ط. بدون تاريخ.
12. العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي، ت، خليل شرف الدين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط.؟ 1999 م.
13. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني، ت، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط. الخامسة، 1981 م.
14. لغة النقد القديم بين المعيارية والوصفية حتى نهاية القرن السابع الهجري، عبد السلام محمد رشيد، مؤسسة المختار، القاهرة، ط. الأولى 2008 م.
15. المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي،

ت، د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط، الثانية، 1986 م.

16. مواقف في الأدب الأموي، عمر فاروق الطباع، دار القلم، بيروت، لبنان، ط. الأولى 1991 م.
17. الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، لأبي عبد الله المرزباني، ت، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. الأولى، 1995 م.
18. نقائض جرير والفرزدق، ت، محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط. الأولى 2002 م.
19. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ت، محمد عبد المنعم خفاجي، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. بدون تاريخ.
20. وفيات الأعيان لابن خلكان، ت، يوسف علي طويل، مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. الأولى، 1998 م.